عبدالحكيم نجم الدين

مدير مجمع الأفارقة - وباحث في الشئون الإفريقية-نيجيريا

تمدد إرهابي:
الحركات المتطرفة في شرق ووسط أفريقيا

لايعرف عن الحركات المسلحة في أفريقيا سوى اليسير، أو ربما لم يسمع عنها إلا بعد قيامها بهجمات وعمليات إرهابية. وبالنظر إلى خريطة هذه الحركات في أفريقيا وانتشارها، نجد أن بوكو حرام توجد في نيجيريا، وفي الوسط توجد الميليشيات المسيحية "أنتي بالاكا"، بينما تنتشر حركة الشباب في الصومال، كما تهدد القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي منطقة الساحل. وعموماً يركز هذا التحليل على وسط وشرق القارة.

ومن المهم لفهم أسباب ظهور الحركات المتطرفة في أفريقيا البحث عن المسببات الداخلية والخارجية، فالظروف السياسية، والظروف الاجتماعية والاقتصادية، وغياب الأمن المجتمعي والإنساني، جميعها عوامل شديدة الأهمية. وإذا كان جانب من الباحثين يعتبرون أن الفقر السبب الرئيسي في انتشار الإرهاب[1]، لكن الواقع يشير إلى وجود حزمة من العوامل المجتمعة التي تدفع إلى نمو هذه الظاهرة.

أولاً: حركة «أنتي بالاكا» في وسط أفريقيا

يرى عدد من المراقبين أن تصرفات الميليشيات المسيحية "أنتي بالاكا" ما هي إلا رد فعل لاضطهاد حركة "سيليكا" ذات الأغلبية المسلمة لها، لكن لا يمكن إغفال أنه إذا كان ذلك بمنزلة رد الفعل، فإنه رد فعل شديد العنف والوحشية. وتشير تسمية "أنتي بالاكا" (المناهضون للسيف) إلى جماعات تشكلت في شهر أغسطس عام 2013 بهدف المقاومة المسلحة ضد "سيليكا"، خاصة بعد أن وصل ميشيل جوتوديا– زعيم سليكا وأول رئيس مسلم– إلى السلطة في جمهورية أفريقيا الوسطى، وذلك بانقلاب عسكري في مارس 2014، وهو ما أدى لتفجر القلاقل. ومن هنا ظهرت مجموعات أخرى تشكلت من المزارعين، ومن أتباع الرئيس فرانسوا بوزيزيه، رئيس أفريقيا الوسطى السابق في شمال غرب البلاد لتقوم بمواجهة حركة سيليكا مع مطالبتها بأن يتولى رجل مسيحي رئاسة البلاد، وبالطبع قادت هذه الأوضاع إلى تفجر الطائفية في أسوأ صورها بين المسلمين والمسيحيين، حيث يعتبر المسلمون في جمهورية وسط أفريقيا أقلية مقارنة بالمسيحيين، وباقي السكان من الديانات الأخرى.

وقد قادت هذه الأوضاع إلى قيام ميليشيات أنتي بالاكا بتكثيف هجماتها على المسلمين، بدعوى أنهم ضمن أنصار متمردي "السيليكا"، وقتلت الحركة ما يفوق الـ 1000 شخص خلال أيام معدودات فقط، وفر نحو عشرات الآلاف من المسلمين من البلاد إلى تشاد والكاميرون، كما لجأ عدد منهم إلى مخيمات مخصصة للنازحين داخل البلاد. واعتبرت المنظمات الدولية ما يحدث تطهيراً عرقياً ومن ذلك موقف منظمة العفو الدولية [2](Amnesty). من جانبها اعتبرت الرئيسة المؤقتة للجمهورية، والتي خلفت الرئيس جوتوديا سامبا بانزا ما يحدث في بلادها مشكلة أمنية وليس تطهيراً عرقياً. لكن منظمة العفو الدولية أصرت على التنديد بالجرائم التي ارتكبت في أرجاء الجمهورية في 2013 و2014. ودعت المنظمة في أحد تقاريرها بعنوان "جمهورية أفريقيا الوسطى: حان وقت المساءلة" إلى التحقيق بشأن الجناة ومقاضاتهم ومعاقبتهم. ويحدد التقرير أن الطرفين الرئيسيين المتسببين في الانتهاكات الخطيرة لحقوق

الإنسان هما حركة "أنتي بالاكا" و"سيليكا"، واعتبر التقرير الجماعتين متورطتين في انتهاكات خطيرة لحقوق الإنسان.

وفي مايو 2014، فرض مجلس الأمن الدولي وحكومة الولايات المتحدة عقوبات ضد عدد من قادة جمهورية أفريقيا الوسطى وردت أسماؤهم في هذا التقرير. فأخضعت لجنة العقوبات التابعة لمجلس الأمن الرئيس السابق فرانسوا بوزيزيه، وليفي ياكيتيه وهو أحد منسقي حركة "أنتي بالاكا"، وكذلك قائد "سيليكا"، والرجل الثاني في التنظيم نور الدين أدم، للعقوبات. وبالإضافة إلى هذه الأسماء الثلاثة، أصدر رئيس الولايات المتحدة باراك أوباما، أمراً تنفيذياً فرض بموجبه عقوبات على بوزيزيه– الرئيس السابق– وميشيل دجوتوديا– زعيم "سيليكا"– وعلى قائد الجماعة المسلحة عبد اللايي مسكين.[3]

ثانياً: شرق أفريقيا وحركة الشباب المجاهدين

تركزت أنشطة التطرف والإرهاب في شرق أفريقيا في حركة الشباب التي تعتبر بمنزلة أحد افرع تنظيم القاعدة هناك. وترتبط هذه الحركة بحركات أخرى مماثلة في دار السلام وجزر القمر ونيروبي وكمبالا وربما بالقوات الديمقراطية المتحالفة في شرق جمهورية الكونغو الديمقراطية[4]. وعلى الرغم من التطورات الإيجابية في الصومال والمؤشرات التي تذهب إلى التفاؤل باستقرار الأوضاع، فإنه لاتزال التطورات تحمل أيضاً توقعات بأن هناك إمكانية لحدوث اضطرابات مجدداً، خاصة أن الصراع في الصومال متعدد الأوجه. وتتنوع التسميات التي تطلق على حركة الشباب المجاهدين، فيسميها الإعلام "حركة الشباب الصومالية"، ويعبرون هم عن أنفسهم بـ"المجاهدون" أو "حركة المجاهدين" و"حركة الشباب الإسلامي" أو "حركة الشباب المجاهدين" أو "جناح الشباب" أو "الشباب الجهادي" أو "وحدة الشباب الإسلامي"، وجميعها مسميات تطلق عليهم من قبل جماعات أخرى أو من قبل الكتاب والباحثين، وإن كانت جميعها تعبر عن الكيان ذاته وهو الفصيل الصومالي المسلح ذو التوجهات الجهادية[5].

> يبدو أن مستقبل حركة الشباب لايزال يعتريه الغموض، إذ يرى البعض أن الحركة صناعة غربية أو أنها تدعم من قبل الغرب، وآخرون لا يرونها سوى حركة تشددية اتخذت التطرف مذهباً، خاصة بعد مقتل زعيمها أحمد غودني مما جعل الخبراء يشكّون في قدرة قائدها الجديد على حمل المسؤولية.

وتعود نشأة هذه الحركة والظهور الحقيقي لاسم "حركة الشباب" في عام 2006 حيث كان تنظيماً شبابياً يتصف بالتشدد، ويتبع اتحاد المحاكم الإسلامية، الذي وصل إلى الحكم في الصومال، وكان وقتها يقاتل القوات الإثيوبية التي دخلت البلاد لدعم الحكومة المؤقتة للصومال، والتي كانت حكومة شديدة الضعف. ويرى المراقبون أن من أحد أسباب التطرف الشديد الذي وسم هذه الحركة التدخل الإثيوبي.

وقد عبر عن الاستنتاج السابق عبدالله فاضل القمري، أمين سر تنظيم القاعدة وأحد قياداتهم في شرق أفريقيا، فقد أشار في مذكراته إلى أنه: "كانت لدينا خليتان يقودهما رجال من القاعدة، الأولى شكلت من قبل الأخوين يوسف التنزاني وعيسى الكيني (صالح النبهاني) وهما عضوان من القاعدة، وكانا قد اختلفا مع طلحة السوداني وتحالفا مع جماعة صومالية مجاهدة يترأسها الأخ (آدم عيرو) من شباب الشيخ حسن طاهر أويس، وشارك معنا في عملية طردنا للقوات الأمريكية في الصومال سنة 1994، وبالتنسيق مع الأخ مختار الصومالي (أحمد عبدي)، وهو أمير حركة الشباب آنذاك، الذي يعتبر من قدامى المجاهدين في أفغانستان. أما الخلية الثانية فكانت تحت قيادة الأخ طلحة السوداني الذي ترأس خلية القاعدة في عمليات ضرب القوات الأمريكية"[6].

وفي بداية عام 2007، وبعد أن قامت إثيوبيا بتدخلها العسكري تأسس التحالف في إرتريا من قِبل قيادات من المحاكم الإسلامية والمنشقين عن برلمان حكومة عبدالله يوسف، وقيادات المجتمع المدني والمغتربين الصوماليين لإعادة تحرير الصومال، لكن وقتها انشقت حركة الشباب المجاهدين عن المحاكم الإسلامية متهمة إياها بالتحالف مع العلمانيين والتخلي عن الجهاد في سبيل الله، وعززت سيطرتها على جنوب ووسط الصومال، "ومن هنا برزت الحركة في الساحة كحركة جهادية واسعة لها أطرها التنظيمية، ولم تكن ذات شهرة على الساحة الصومالية من قبل[7].

ومن بين مبادئ حركة الشباب عدم التفاوض مع الحكومة الانتقالية الصومالية بعد انشقاقها عن المحاكم الإسلامية، باعتبار أنها حكومة عميلة لإثيوبيا والولايات المتحدة. كذلك عدم التفاوض مع الحكومة الإثيوبية لأن الحركة ترى إمكانية نجاحها في مواجهاتها، وتثق في قدرتها على إخراج القوات الإثيوبية من الصومال مهزومة "ومن ثم ستكون معادلة القوة فى صالح الفصائل الصومالية وليس إثيوبيا"[8].

كانت الحركة قد أعلنت في عام 2007 عن أميرها الجديد أحمد عبدي غودني، واسمه التنظيمي (مختار عبدالرحمن الملقب بأبي زبير) خلفاً لقائدها السابق عبدالرحمن إسماعيل عرالي، الذي أُلقي القبض عليه في جيبوتي منتصف عام 2007. ثم أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية إدراج حركة الشباب المجاهدين في قائمة المنظمات الإرهابية يوم 13 مارس 2008 بسبب ارتباطها بتنظيم القاعدة، وتردَّد اسم حركة شباب المجاهدين بوتيرةٍ عالية في وكالات الأنباء المحلية والعالمية، ما أعطى زخماً كبيراً في عملياتها العسكرية ضد حكومة علي محمد غيدي آنذاك والقوات الإثيوبية التي ساندتها.

وعلى الصعيد الميداني حقَّقت الحركة مكاسب على الأرض، حيث بسطت سيطرتها على معظم مناطق جنوب ووسط الصومال، وأسَّست ولايات إسلامية في معظم مناطق

وسط وجنوب الصومال، وخضع لسيطرتها ثلثا مساحة أحياء العاصمة مقديشو من 2009 وحتى أواخر عام 2011[9].

وبالعودة إلى كتابات الباحثين وتحليلات الكتاب تتحدث بعضها عن خطورة هذه الجماعة وحتمية التصدي لها، وأخرى تتطرق إلى أرقام قياسية عن توافد الأجانب إلى الصومال للقتال ولمساعدة "الشباب". وقد استطاعت حركة الشباب في أقل من أربع سنوات من 2006 وحتى 2011 السيطرة على أكثر من 20% من مناطق وسط وجنوب الصومال، وأدّى تشددها وتوجهها الفكري إلى خسارة التأييد الشعبي والقبلي الذي حظت به أثناء قتالها للقوات الإثيوبية، ثم تغيرت الأوضاع في أواخر العام 2011؛ حينما تمكنت بعثة الاتحاد الأفريقي لحفظ السلام في الصومال، من إخراجها من العاصمة مقديشو ومناطق أخرى مهمة أبرزها؛ ميناء كيسمايو. وكانت هذه خسارة كبيرة للشباب لأنها كانت تتيح لهم تجهيز المناطق التي يسيطرون عليها بما تحتاج من مؤن، إضافة الى الضرائب التي كانوا يجبونها من السفن التي ترسو في الميناء[10].

وفي فبراير 2012 أعلن أمير الحركة أبو الزبير في تسجيل له عن انضمامهم إلى تنظيم القاعدة الذي يتزعمه أيمن الظواهري[11].

الخاتمة

ليس من المستبعد أن توسع "الشباب" نشاطاتها، وأن تنقلها إلى دول الجوار، كما أن المراقبين يصنفون ارتيريا داعماً وحيداً للحركة في منطقة القرن الأفريقي وشرق أفريقيا - حتى وإن كان الارتريون ينفون قيامهم بتزويدها بالسلاح. فقد جاء في أحد تصريحات المتحدث باسم وزارة الخارجية الإثيوبية، أنه "على الرغم من الجهود الجارية من جانب الحكومات الإقليمية وقوة الاتحاد الأفريقي في الصومال "أميصوم"، مازالت إريتريا تواصل تقويض جهود السلام في الصومال الذي مزقته الحروب"[12].

قامت الحركة بتبني الهجومات والاغتيالات داخل الصومال وخارجها، ومن أشهرها هجوم نيروبي على مركز تسوق "ويستغيت" في الحادي والعشرين من سبتمبر 2013، والذي أسفر عن مقتل ما لا يقل عن 68 شخصاً. كما أن الحركة مسؤولة عن الهجوم الانتحاري المزدوج الذي شهدته العاصمة الاوغندية كامبالا عام 2010، والذي أسفر عن مقتل 76 شخصاً كانوا يتابعون المباراة النهائية لبطولة كأس العالم لكرة القدم. وعبرت هذه التفجيرات من ناحية عن تحول حركة "شباب المجاهدين" إلى "حركة إرهابية" بسبب توجيه ضرباتها لأفراد مدنيين أي ليسوا قوات محاربة أو عسكريين في وقت الحرب، وتدميرها للممتلكات العامة والخاصة، كما أن ضربها للمدنيين لم يكن إلا رسالة لطرف ثالث هو الحكومة الأوغندية وحكومات دول شرق أفريقيا"[13].

وعللت الحركة سبب قيامها بالعملية؛ لأن قوات اوغندا– إضافة الى بورندي – تشكل عماد القوة الأفريقية العاملة في الصومال وذلك قبل انضمام كينيا إلى القوة[14].

ويعتقد أن هجومي 2002 على أهداف إسرائيلية في ميناء مومباسا الكيني قد خطط لهما في الصومال من قبل خلية تابعة للقاعدة، بينما تقول الولايات المتحدة إن عدداً من عناصر القاعدة الذين شاركوا في الهجومين على سفارتيها في نيروبي والعاصمة التنزانية دار السلام عام 1998 هربوا إلى الصومال[15].

لكن، يبدو أن مستقبل حركة الشباب لايزال يعتريه الغموض، إذ يرى البعض أن الحركة صناعة غربية أو أنها تدعم من قبل الغرب، وآخرون لا يرونها سوى حركة تشددية اتخذت التطرف مذهباً، خاصة بعد مقتل زعيمها أحمد غودني مما جعل الخبراء يشكّون في قدرة قائدها الجديد على حمل المسؤولية.

1- Coen van Wyk, East Africa Terror Hazards Tied To Poverty: Poverty Fuels Terror Groups, Insurgencies And Criminal Networks, **Consultancy Africa Intelligence**, 27 February 2014, accessible at: http://goo.gl/fkNW8r

2- Ethnic Cleansing And Sectarian Killings In The Central African Republic, **Amnesty International**, 2014, accessible at: http://goo.gl/JNgftc

3- منى عبد الفتاح، أزمة أفريقيا الوسطى ومعضلة الأمن الإقليمي، **الجزيرة.نت**، 12 ديسمبر 2013، موجود على الرابط التالي: http://goo.gl/p7j9kP

4- Ethnic Cleansing And Sectarian Killings In The Central African Republic, **Amnesty International**, 2014, accessible at: http://goo.gl/JNgftc

5- حركة الشباب الصومالية، **الجزيرة.نت**، 1 مايو 2008، موجود على الرابط التالي: http://goo.gl/fsd7eS

6- مذكّرات أبي الفضل القمري

7- أنور أحمد ميو، "الحركات الإسلامية الصومالية"، **شبكة الشاهد**، مارس 2014، موجود على الرابط التالي: http://arabic.alshahid.net/biographies/parties/104164

8- أميرة محمد عبدالحليم، تفجيرات كمبالا: حركة الشباب تنقل الحرب الصومالية إلى أراضي دول الجوار، **ملف الأهرام الاستراتيجي**، أغسطس 2010، موجود على الرابط التالي: http://digital.ahram.org.eg/articles.aspx?Serial=677258&eid=122

9- "**تاريخ وموقع حركة الشباب من خارطة جماعات الغلو والتطرف**"، ورقة قدمت في مؤتمر: (ظاهرة الغلو والتطرف)، مقديشو 7 - 11 سبتمبر 2013.

10- نرمين محمد توفيق عبدالهادي، "**حركة الشباب المجاهدين بالصومال من 2006**"، (القاهرة: رسالة ماجستير، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، 2013).

11- موقع يوتيوب عن "بشرى عاجلة / حركة الشباب المجاهدين تبايع تنظيم القاعدة"، موجود على الرابط التالي: https://www.youtube.com/watch?v=y9DG_DfovHg

12- إثيوبيا تتهم إريتريا بمواصلة دعم "الشباب المجاهدين" بالصومال الثلاثاء، 30 يوليو 2013، **جريدة اليوم السابع**، موجود على الرابط التالي: http://goo.gl/Gi4f7M

13- أميرة عبدالحليم، **مرجع سبق ذكره**

14- Al-Shabaab Islamists Suspected In Deadly Ugandan World Cup Bombings, **The Telegraph,** 12 July, 2010, http://www.telegraph.co.uk/news/worldnews/africaandindianocean/uganda/7885111/Al-Shabaab-Islamists-suspected-in-deadly-Ugandan-World-Cup-bombings.html

15- محمد النعماني، "حركة الشباب المجاهدين الصومالية"، أكتوبر 2013، **الحوار المتمدن**، موجود على الرابط التالي: http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=382525